الفصل الأول
الملكة إليانور
على العرش الفرنسي

- زواج إليانور من الملك لويس السابع وتداعياته
- دور إليانور في إدارة شئون فرنسا ومدى تأثيرها على الملك لويس
- نزاع الملك لويس مع الكنيسة
- حملة لويس السابع على مقاطعة شامبني

الفصل الأول
الملكة إليانور على العرش الفرنسي

زواج إليانور من الملك لويس السابع وتداعياته:

عند وفاة الدوق وليام العاشر كان ملك فرنسا لويس السادس Louis VI يعاني من المرض وارتفاع الحرارة مما دفعه إلى ترك باريس الحارة والتوجه إلى قرية بيزي Bethy بشمالها، والتي كان يتخذها مقرا له في رحلات الصيد. ومع ذلك فقد اشتد المرض على الملك الذي لم يتمكن من الحراك لزيادة وزنه[1] لذلك تواجد حوله عدد كبير من البارونات والأساقفة وعلى رأسهم الأب سوجير Suger مستشار الملك ووزيره الخاص وذلك لأن حالته الصحية بدأت في التدهور السريع[2].

ورغم مرض لويس فإن عقله وإدراكه ظلا نشيطان، لكنه كان قلقا لعدم تمكنه من السيطرة على شئون المملكة.

كان لدى لويس السادس ستة من الأبناء أكبرهم فيليب Phillip وهو المفضل عند أبيه وعندما بلغ سن البلوغ قام والده بمباركته وتنصيبه فارسا وركع له الأتباع إعلانا للتبعية والولاء ومع ذلك لم يستمع لنصائح والده ولم يذعن له، وكانت تلك النصائح توضح السياسة التي رسمها له والتي سار عليها لويس فترة حكمه.

ذكر أحد المؤرخين أن الإبن فيليب "ضل سبيل الطريق القويم، وكان سلوكه الاستبدادي سببا لمتاعب الجميع"[3].

لقد كان هذا السلوك الصادر من شاب مراهق من الممكن قبوله لكن بالنسبة لفيليب فالأمر مختلف لأنه الوريث المنتظر لعرش الفرنجة، ولكن شاءت إرادة الله أن يتوفى فيليب في حياة أبيه.

ففي اليوم الأول من شهر أكتوبر عام 1131م وبينما كان هو ومجموعة من رفاقه يركبون على طول شبكة السين[4]، اندفع خنزير أسود فجأة من كومة روث على رصيف الميناء مما أدى إلى فزع حصان فيليب الذي انطلق راكضا مما أدى إلى سقوط فيليب على رأسه ووفاته في اليوم التالي.

كان الإبن الثاني للملك مختلفا تماما عن الأول فكان هادئ الطبع ويدعى لويس وهو الذي تقلد عرش فرنسا تحت اسم لويس السابع. تربى لويس تربية دينية حيث قضى حياته في الدير الملكي للقديس دنيس Saint Denis وسط رهبان الدير.

---

(1) اتسم الملك لويس السادس بالبدانة الشديدة التي كانت بالنسبة له علامة مميزة مما جعل أتباعه يطلقون عليه لقبل Louis le Gros أي لويس البدين وهو لقب ملائم له. انظر:
Suger. Vie de Louis Vi Le Gros, Edited by henry Woquet. Paris. 1929. PP. 280-282.
Meade, Eleanor, P. 33 Kelly, Eleanor P1 Alison, Eleanor, PP. 21-22.

(2) Surger. Vie de Louis VI Le Gros, PP. 280-282.
Meade, Eleanor, P. 33 Alison, Eleanor,P. 21-22.

(3) Walter Map, De Nugis Curialium (Courtiers' Trifles). Edited and Translated by Frederick Tupper and M.B. Ogle . London: Chatto and Windus, 1924, P. 285.

(4) شبكة السين هي شبكة صيد تتدلى عموديا في الماء عند دائرة سوق باريس المعروف بجيرفي Gerve. انظر:
Meade, Eleanor, P. 34.

اضطر لويس إلى ترك الدير لممارسة حياته السياسية بعد وفاة أخيه فيليب، في الوقت الذي شعر فيه أبوه بالخوف عليه من الحياة العلمانية، لعدم خبرته، وانغماسه في الحياة الدينية، ومع ذلك كان الملك يأمل أن يكتسب إبنه الخبرات بمرور الوقت(1).

في هذه الفترة وصلت أخبار وفاة الدوق وليام لعاشر دوق أكوتين والذي لم يترك وريثا ذكرا إلا إبنتيه إليانور وبترونيلا وكانت إليانور هي الإبنة الكبرى والوريثة الشرعية لممتلكات والدها فأصبحت بذلك صاحبة أكبر إقطاعية في الجنوب، مما أدى إلى تسابق البارونات على الزواج منها، حتى ينافسوا الملك لويس.

شعر الملك لويس السادس بالسعادة لوفاة الدوق وليام العاشر، وطلب من أهل أكوتين الاستسلام والخضوع للوريثة الجديدة، وقرر مناقشة وصية الملك التي تركها له مع الأب سوجير الذي عقد معه اجتماعا منفردا بخصوص هذا الموضوع(2).

وقد أخبرنا الأب سوجير أن الملك لويس كان يصيح أثناء اجتماعه به من شدة الفرح وقد تلعثم في كلامه لأنه قضى حوالي سبع وعشرون عاما في محاولة مد حدود مقاطعته أو مملكته المحدودة والتي كانت حدودها تنحصر في مساحة طولية من الأرض تتمثل بالدرجة الأولى في أورليان(3) Orleans وجزء من بيري(4) Berry.

أما مقاطعة أكوتين فتعتبر واحدة من أغنى وأعظم المقاطعات. لقد أدرك لويس أهمية ميراث الدوق وليام والذي إذا انضم إليه فسوف يعني ذلك ضم أغنى مقاطعة في أوروبا للتاج الملكي مما سيؤدي إلى تدعيم السلطة الملكية لدولة الفرنجة.

ناشد الدوق وليام في وصيته الملك لويس السادس أن يبحث عن زوج مناسب لإبنته إليانور، فلم يجد الملك لويس أفضل وأنسب من إبنه ووريثه لويس الشاب ليكون زوجها لها، ونادرا ما تتفق المصالح الشخصية مع السياسية هكذا(5).

تم تعيين الأب سوجير من أجل ترتيب وتنظيم مراسم الزواج كما أرسل لويس أسقف مدينة شارتر Charter للاطمئنان على إليانور، لكنه ادعى أنه جاء إلى مدينة بوردو Bourdoux من أجل إعلان الولاء للدوقة(6).

---

(1) Suger, Vie de Louis VI Le Gros, P. 432 Kelly, Eleanor, PP 2-3.
Alison, Eleanor, P. 22 Meade, Eleanor, P. 34

(2) Suger, Vie de Louis VI Le Gros, P. 285 Kelly, Eleanor, PP. 1-2.
Owen, Eleanor, P. 14. Meade, Eleanor, PP. 34-35Alison, Eleanor, PP. 22-23. Stephenson, Medeval . History, New York, 1943, PP. 400-401.
Ffiona Swabey, Eleanor, P.32.
سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج1، ص244، نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، جـ1، ص806.

(3) أورليان Orleans مدينة فرنسية، فهي جينبوم Genabum تقع على نهر اللوار إلى الجنوب والجنوب الغربي من باريس. وتتميز بأنها مركز اتصال بين الأقاليم الفرنسية. انظر:
Moore, W.G., Encyclopedia, P. 585.

(4) بيري Berry : مقاطعة فرنسية، في جنوب باريس، وتكون الآن اندرا Indre وأجزاء من شير Cher بالإضافة إلى أجزاء أخرى،وانضمت للتاج الفرنسي في عام 1101م، وأصبحت دوقية في عام 1360م. انظر:Moore, W.G., Encylopedia, P. 98

(5) Suger, Vie de Louis VI Le Gros, P. 285. Kelly, Eleanor, PP. 1-2 Meade, Eleanor, PP. 34-35. Alison, Eleanor,PP. 22-23 Owen, Eleanor, P. 14.

(6) Meade, Eleanor, P. 35, Kelly, Eleanor, P.3 .

خاف الملك لويس من تعرض إليانور لمحاولة اختطاف من قبل أتباعها خاصة وأن مقاطعة أكوتين كانت تعج بالفوضى ومثيري الشغب. ونتيجة للأخطار التي تهدد الطرق لم يوافق الملك لويس على سفر إليانور بمفردها إلى باريس، لذلك كان لابد من إرسال بعثة خاصة لإحضارها، ولابد أن يكون أفرادها على درجة عالية من الرقي والتحضر تتناسب مع هذه المناسبة التي لم يسبق لها مثيل كما يجب أن تكون مبهرة لجذب أهل أكوتين.

وفي الثامن عشر من يونيو عام 1137م توجه موكب هائل وضخم إلى هذه المقاطعة من أجل إحضار الدوقة وقد شق طريقه ببطء على تلال ضواحي باريس في اتجاه أورليان.

ضم الموكب عددا كبيرا من القادة منهم الكونت ثيوبولد أوف شامبني Theobald of Champagne والكونت رالف من فورماندوس Ralph of vermandios وهو ابن عم الملك لويس، واللذان كان كل منهما منافسا خطيرا للآخر، لكن تم إقناعهما بترك خلافاتهما الشخصية من أجل تلك المناسبة كما ضم الموكب عددا كبيرا من الفرسان والبارونات كما شارك أيضا أعداد كبيرة من حملة الدروع والمشاه إلى جانب عدد كبير من الحيوانات التي تستخدم لنقل الأمتعة والخيام وهدايا العروس وقد تم استدعاء أكثر من خمسمائة فرقة لتوفير الحماية والأمان للموكب الذي كان عبارة عن جيش متحرك على الطريق الواقع في الأراضي التابعة للملك[1].

كان لويس الإبن في مقدمة الموكب المتوجه إلى بوردو حيث كان قلقا متوترا من كثرة نصائح والده، التي أراد منها أن يثبت الهيبة الملكية على الأتباع، وألا يظهر عداوة لأهل أكوتين وألا يسمح لأتباعه بالإساءة إليهم وبسكن منازلهم وسلب حقوقهم لكونهم أفصالا وأتباعا للملك.

ومن الأمور التي أثارت قلقه، تركه للحياة الدينية، وممارسة الحياة المدنية ثم دفعه للزواج وهو في السادسة عشرة من عمره من إليانور حيث كان يدرب نفسه على حسن معاملتها لأنه كان ينظر إلى المرأة على أنها غواية الشيطان رغم علمه بضورة التعامل معها للحفاظ على البشرية[2].

ظل الموكب في طريقه يسير ليلا ويتوقف نهارا وذلك تجنبا لحرارة الجو حتى وصلوا إلى بوردو Bordeaux.

وفي اليوم الأول من شهر يوليو عام 1137م وصل الموكب إلى مدينة ليموج Limoges، والتي كانت تحتفل بعيد حاميها القديس مارتيال Saint Martial.

نصب أعضاء البعثة خيمهم على طول منحدرات نهر فاني Vanne واجتمع حشد كبير من الناس للاحتفال وكان من بينهم الكونت الفونس جوردون Alphonse Jourdain حاكم مقاطعة تولوز، وعدد كبير من أتباع إليانور الذين اندهشوا عندما علموا بوفاة الدوق وليام وزواج إليانور من وريث فرنسا رغم محاولة إخفاء الخبر عنهم.

شعر الأب سوجير بالقلق لانتشار هذه الأخبار، لذلك بدأ يدير الأمور حتى ينهي مهمته، فقام بتهيئة الأمور لتمكين الأمير لويس من زيارة ضريح القديس حامي المدينة، ودعى كبار ونبلاء مدينة ليموزين Limousin لحضور حفل الزفاف[3].

---

(1) Geoffry of Vigeois. Chronicle. Vol. 12, P. 435.Kelly, Eleanor, P.3 , Meade, Eleanor, P. 35.
La Mont, The World of Middle Ages, New York , P. 297.

(2) Meade, Eleanor, P. 36 .

(3) Geoffrey of Vigeois, Chronicle, Vol. 12 P. 435.
Kelly, Eleanor, P. 4, Alison, Eleanor, 24 , Meade, Eleanor, PP. 37.

في صباح يوم الأحد الموافق الحادي عشر من يوليو عام 1137م وصل الموكب إلى الضفة الشرقية لنهر الجارون Garonne[1] حيث قاموا بنصب الخيام على طول ضفة النهر، وبحلول الظهر كان الحفل قد امتلأ بالصخب والهرج والمرج نتيجة ارتفاع أصوات الفرسان الذين كانوا يعبرون النهر إلى الضفة الأخرى حيث تقع مدينة بوردو، وقد نزل أفراد البعثة في قصر الدوقية وفي منازل المواطنين البارزين.

عندما علم جيفري دي لاروكس Geoffrey du Lauroux ولي أمر إليانور والوصي عليها بوصول الموكب قام بنفسه بعبور نهر الجارون ليرحب ويستقبل الأمير لويس ويرافقه إلى مقر رئيس الأساقفة وفي ذلك اليوم أو ربما في اليوم التالي تعرفت إليانور للمرة الأولى على زوجها المنتظر واستطاعت أن تحكم وتدرك أن عريسها ليس فارسا جريئا وتنقصه صفات كثيرة لأن الخبرة التي اكتسبتها منذ طفولتها هيأتها لأن تحكم على نوعية الشخصيات التي تتعامل معها[2].

كان لويس أكبر من إليانور بعام واحد فقط، وبدا لطيفا ومهذبا كما أن بساطته وتواضعه جعلتها تنظر إليه على أنه ضعيف وأحمق ولم تشعر نحوه بأي عاطفة فهو الرجل الذي فرض عليها الزواج منه لاعتبارات سياسية فقط ورغم الوسامة التي كان يتسم بها لويس كان يفتقر إلى أي شئ آخر من خصائص الرجولة فكان لديه سحرا وجاذبية لكنه لم يكن على نمط الشباب الذين تعرفت عليهم إليانور والذين حظوا بإعجابها واهتمامها ولذلك عندما رأته لم ينل إعجابها ولم يؤثر فيها.

لم تكن إليانور تفكر في الزواج من سيدها الإقطاعي لكنها في نفس الوقت كانت ترى أن ذلك حق لها كما كانت تعتقد أيضا أن لويس في مكانة أقل من مكانتها[3].

كان منبع الخلاف هو التفاوت بين أهل الشمال والجنوب الفرنسي، فقد كان نهر اللوار يفصل بين المنطقتين، فالشمالية يحكمها ملوك آل كابيه Capets الذين استولوا على العرش من آخر ملوك الأسرة الكارولنجية، والذين تعتبرهم إليانور متخلفين حضاريا ويعيشون حياة بدائية، بينما أهل الجنوب انصهروا في الحضارة، ونظروا نظرة تعالي لهؤلاء القادمين إليهم من الشمال، ولذلك كثرت الخلافات بين الطرفين، في الوقت الذي لم ترى فيه إليانور الأمير لويس بمفرده حتى تقيم شخصيته إلا نادرا قبل زفافها[4].

أقيمت الاحتفالات في قصر أومبرير Ombriere عدة أيام ابتهاجا بزفاف إليانور حيث اكتظت قاعات القصر باللوردات والسيدات اللاتي جئن لتقديم التهاني لها وللأمير، وبدت الموائد التي احتوت على أشهى أنواع الطعام، واللحوم المختلفة والأصناف النادرة التي قدمتها إليانور لضيوفها، كما غنى الشعراء الجائلون قصائد وليام التاسع وأغانيه الفاجرة في الحب والجنس، والتي حظت بإعجاب أهل الجنوب بينما صدمت الفرنسيين الشماليين خاصة رجال الدين فالكتاب الفرنسيين نظروا إلى تلك الأغاني الماجنة نظرة احتقار وإدانة[5].

---

(1) نهرا الجارون: أقصر الأنهار الرئيسية في فرنسا حيث لا يتجاوز طول مجراه حوالي خمسمائة وواحد وسبعين كيلو مترا وهو ينبع عند وادي أران Aran بالنطاق الأوسط لمرتفعات البرانس ويتجه صوب الشمال فالشمال الغربي ليصب في خليج جيروندي Gironde الطولي وهو أحد الخلجان الصغيرة المتصلة بخليج بسكاي. انظر: محمد خميس الزوكة: أوروبا دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية، 2002، ص119-120.

(2) Meade, Eleanor, P. 37 – Alison, Eleanor, P. 24 Kelly, Eleanor, P. 4.

(3) Meade, Eleanor, P. 38 Alison, Eleanor, P. 23.

(4) Alfred, Histoire, Vol. 2, P. 61, Alison, Eleanor, P. 23.

(5) Meade, Eleanor, PP. 38-39.

وفي وسط هذا الجو الصاخب من الأغاني بدا لويس مهموما ومستاء بينما استمتعت إليانور بما تسمعه ولكن ما أصابها بالقلق أنها وجدت أن زوجها يحتاج إلى قدر كبير من التحضر والتمدن، ولأنها شخصية قوية جريئة حتى أنها تصدرت المائدة وقامت بواجب الضيافة بثقة وقوة لأنها تدربت على المراسم في القصور الكبرى.

لقد تصرفت إليانور بشكل طبيعي فلم تتكلف أو تشعر بالحرج فقد وقفت على المائدة ترحب بالضيوف وظلت بجانب لويس فترة طويلة تتقبل التهاني من أتباعها.

لاحظت إليانور أن ضيوفها يحدقون النظر إلى لويس فقد شعروا بأنه يتصرف ويبدو كالرهبان، ومع ذلك شعرت هي بالسعادة من هدوئه هذا، لأنها رأت أنها بذلك ستتمكن من تشكيله وتغييره حسب رغبتها وستجعل منه فارسا محاربا مثل والدها وجدها[1].

وفي يوم الأحد الموافق الخامس والعشرين من يوليو عام 1137م سار لويس وإليانور في شوارع بوردو حيث زينت الشرفات وواجهات المنازل بالأكاليل والزهور احتفالا بتوجههم إلى كاتدرائية القديس أندريه Saint Andrea[2] ووسط فرح وصيحات أتباعها الذين جاءوا ليقدموا التهاني دخلت إليانور ولويس الكنيسة التي سيتم فيها مراسم الزواج بوجود الوصي عليها رئيس أساقفة بوردو وبعد انتهاء المراسم أحنى لويس وإليانور رأسهما أمام جيفري لاستلام الأكاليل الذهبية التي رسمتهما زوجين وأصبح لويس بذلك دوقا لأكوتين[3].

رغم الترحيب الحار الذي لاقاه لويس في بوردو بدا الأب سوجير قلقا ومضطربا، لأن بعض أتباع إليانور المهمين خاصة مقاطعة أنجوليوم Angouleme لم يحضروا حفل الزفاف كما أخبره الموظفون التابعون للدير أن أعدائها من البارونات يخططون لإثارة المشاكل.

ارتدت إليانور ملابس الزفاف وعبرت بسرعة نهر الجارون ترافقها أختها بترونيلا وبعض أفراد عائلتها المقربين وقبل أن يحل الظلام كان موكب الزفاف قد ابتعد عن مدينة بوردو لمسافة فرسخ[4] أو إثنين، لكن الإحساس بالخطر ظل موجودا فقد استمر الأب سوجير متخوفا وظل يحذر بأن الخطر لايزال قائما وأن هناك كمين موجود في أحد المناطق، وبينما تفادى سوجر الطرق المؤدية إلى القلاع الخاصة بأعداء إليانور ومع استمرار الرحلة بدون أحداث عارضة ورغم ذلك فإن الإحساس بالخطر ظل مسيطرا عليه.

رغم إتمام مراسم الزواج كانت إليانور تنام مع أختها بترونيلا حتى وصلوا إلى قلعة تيلبورج Taille bourg التابعة لجيفري دي رانكون Geoffrey de Rancon وهو من أتباع إليانور الموالين لها حيث توقفوا بها للراحة وليحظوا بكرم سيدها[5].

بدأت العلاقة الحميمة تظهر بين إليانور ولويس، فقد شاركته سريره للمرة الأولى[6]، عند استقرارهما في هذه القلعة ومنها رافقت الرحلة تعزيزات عسكرية حتى الوصول إلى

(1) Meade Eleanor, P. 40.
(2) Richard Alfred, Histoire, Vol., 2, P. 61. Kelly, Eleanor, P. 7:Alison, Eleanor, P. 24.
(3) Richard Alfred, Histoire, Vol. 2, P. 61 . Meade, elanor, P.40, Kelly, Eleanor, P. 7 Dismond, Eleanor, P. 22, Ffiona, Eleanor, P. 33.
(4) الفرسخ: يساوي ثلاثة أميال أي حوالي 6 كيلو متر. انظر: فالتر هنشي: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل القنسلي، الأردن، 1970م، ص94.
(5) Suger, vie de Louis Le Gros, P. 283. Meade, Eleanor, PP. 40-41., Kelly, Eleanor, P.7, Alison, Eleanor, PP.24-26
(6) Meade, Eleanor, P. 41 , Alison, Eleanor, P. 26.

بواتييه Poitiers التي وصلوا إليها في الأول من أغسطس من نفس العام وقبل وصولهم إلى باب المدينة كانت الأخبار قد انتشرت في أنحاء البلدة فأسرع الأهالي إلى الطرقات للترحيب بدوقتهم وزوجها وقد ساد المدينة صخب كبير كذلك توجه أعضاء الرحلة إلى الفناء لوقوفهم في الطرقات للترحيب بهم رغم حرارة الجو العالية[1].

رغم التعب والإرهاق الذي غلب على أفراد الفريق الملكي نتيجة الرحلة الشاقة من بوردو إلى بواتييه، إلا أن إليانور بمجرد وصولها إلى هناك بدأت فورا في الترحيب بضيوفها البارزين وبدأت في توزيع الهدايا خاصة لزوجها ومن أبرز تلك الهدايا مزهرية بلورية مصنوعة من الماس الخالص ومحلاه بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة والزئبق إضافة إلى الشعار الملكي لفرنسا، وقد نقش على تلك المزهرية بعض النصوص التي تقول "قدمت إليانور هذه المزهرية إلى الملك لويس وقد ورثتها من جدها، وقد سلمها الملك لويس إلى سوجير الذي قدمها بدوره إلى دير القديس دنيس"[2].

وقد تبرع الملك بتلك المزهرية إلى الأب سوجير لكي يزين بها الكنيسة الجديدة تالتي بناها في دير القيدس دنيس[3].

استمرت الاحتفالات في مابيرجون Maubergeonne عدة أيام مع اللوردات المحليين الذين ظلوا يجيئون ويقدمون الهدايا إلى لويس وإليانور وقد توجت تلك الاحتفالات في الثامن من أغسطس عام 1137م، وذلك بتتويج إليانور ولويس كونتا وكونتيسة في كاتدرائية بواتييه Poitiers[4].

استدعت إليانور العديد من الشعراء المتجولين وأعطت لهم الإشارة لاستئناف الغناء كما عملت على الاستفادة من الفترة التي ستقضيها في بواتييه Poitiers في محاولة لتغيير طباع زوجها لويس، وتعليمه كثيرا من متع الحياة التي يرفضها تماما مثل الرقص والغناء وجميع وسائل التسلية لأنه تربى بين جدران دير القديس دنيس، وكانت أمه مثله ملتزمة دينيا، وهما بذلك وفي نظر إليانور متخلفان حضاريا، لذلك حاولت تدريبه على الصيد في قرية تالمونت Talmont على شاطئ البحر والتي كان والدها يمتلك بها صالة للألعاب الرياضية[5].

---

(1) Suger, Vie de Louis VI, P. 283, Kelly, Eleanor, P. 28.

(2) تعود تلك المزهرية إلى أصول شرقية فقد حصل عليها الدوق وليام التاسع من عماد الدولة بن عبد الملك بن هود الأمير المسلم الأخير لسرقسطة Saragossa (1110-1130م) الذي كان حليفا للملك الفونس الأول ملك أراغون.
قابل عماد الدولة الدوق وليام التاسع عندما كان كلاهما يقود فرق الفرسان التابعة للملك الفونس الأول في معركة قطانيا في أراغون في 17 يونيو عام 1120م.
وقد أهدى عماد الدولة تلك المزهرية إلى الدوق وليام التاسع في محاولة منه لكسب دعمه.
وتعد تلك المزهرية تذكارا مذهلا على التعاون المسيحي الإسلامي خلال مرحلة هامة من مراحل التاريخ.
وهذه المزهرية التي صنعت يدويا هي الشئ الوحيد الذي ارتبط بإليانور وظل موجودا وباقيا حتى اليوم وهي معروضة الآن في متحف اللوفر بفرنسا.
لمزيد من التفاصيل انظر:
George. T. Beech: The Eleanor of Aquitaine Vase, PP. 3-10. Ffiona, Eleanor, P.115.

(3) Meade, Eleanor, P. 42. Alison, ? Eleanor, P. 25,

(4) Suger, vie de Louis Le Gros, P. 283. Meade , Eleanor, P. 41.

(5) Meade, Eleanor, P. 42, Alison, Eleanor, P. 25.

رغم تحذير الأب سوجير للويس وفرسانه بعدم الظهور أمام شاطئ البحر لأن بعض أتباع إليانور رفضوا تقديم الولاء إلى لويس باعتباره السيد الأعلى لأكوتين وبواتييه وكان من بينهم وليام دي ليزي William de Lezay المقيم في تالمونت والذي رفض الحضور إلى بواتييه ليقسم يمين الولاء والتبعية للأمير لذلك صمم لويس على التوجه إليه مع مجموعة من فرسانه لتلقينه درسا إلى جانب التمتع برحلة الصيد والرياضة.

لذلك بعث بجميع أمتعته ومعداته الحربية مقدما، في الوقت الذي وصلت الأخبار إلى وليام ليزي فأعد عدته لاختطاف لويس واحتجازه وطلب الفدية.

وصل فرسان الأمير إلى المدينة، فقام وليام ليزي وأتباعه باحتجازهم وبعد وصول الأمير وأتباعه اصطدموا مع هؤلاء، ووصل الأمر بينهما إلى تدخل الأمير شخصيا في العراك، وانتهى الأمر بهزيمة ليزي وهروبه وقتل الكثير من أتباعه.

أثبت لويس شجاعة في هذه المواجهة أدت إلى تغير علاقة إليانور به، وتحسن مشاعرها تجاهه[1].

وهكذا أتقن الزوج المتردد الخجول كيف يستطيع الفوز باحترام زوجته كما قامت هي بتدعيم زوجها بالمديح والإطراء الزائف، وعملت من وقتها على تحويله إلى محارب عظيم وجرئ[2].

في نفس اليوم الذي وصل فيه لويس وإليانور إلى مدينة بواتييه Poitiers توفي الملك لويس السادس في الأول من أغسطس عام 1137م تاركا مملكة واسعة امتدت جنوبا بزواج إبنه لويس السابع من إليانور التي لم يراها من قبل[3].

وصل الملك الشاب وزوجته إلى العاصمة الفرنسية باريس في أواخر أغسطس من نفس العام وهي المدينة التي قال عنها حنا السالسبوري "بأنها أرض جميع الأمم المتحضرة"، وكان الفرسان على علم بموعد وصول الملك والملكة لذلك امتطوا خيولهم ووقفوا في انتظار وصولهما، لكن إليانور استاءت من ازدحام الفرسان في جزيرة فرنسا على نهر السين.

كان قصر المدينة هو القصر الذي أعد سكنا لإليانور، حيث كان مقرا لجميع حكام آل كابيه، والذي ورثوه عن الملوك الميروفنجيين لذلك كان أقل مستوى ولا يقارن بقصري مايبرجون Maubergeonne أو أومبرير Ombriere[4].

أما عن وصف قصر المدينة فهو عبارة عن تلال من الحجارة تملأ الناظر إليها بالخوف والكآبة، وبداخله ممرات كثيرة خافتة الضوء، توصل إلى الغرف المظلمة لأن الضوء لا ينفذ إليها إلا من خلال فتحات ضيقة في النوافذ، لذلك لم تر فيه أي مظهر جمالي.

أضف إلى كراهيتها لمقر إقامتها، فقد توقعت خلافات ستكون بينها وبين والدة زوجها الملكة أديليد Adelaide[5] التي كرهت إليانور قبل رؤيتها، لكراهيتها لنساء الجنوب ولتجربة خاصة مع إحداهن وهي كونستانس البروفانسية Constance of Provence زوجة روبرت إبن هيو كابيه Robert Hugh Capiet والتي ظلت أخبارها متداولة في فرنسا عن طريقة ملابسها

(1) Meade, Eleanor, P. 42 , Alison, Eleanor, P. 25.
(2) Meade, Eleanory , P. 43.
(3) Surger, vie de Louis VI, Le Gros, P. 285.
(4) Kelly, Eleanor, P. 8, Alison, Eleanor, P.26 , Meade, Eleanor, P. 43.
(5) Meade, Eleanor, P. 43, Alison, Eleanor, 27, Kelly, Eleanor, 10 , Dismond, Eleanor P. 27

ولغتها البروفنسالية ومع ذلك قبلت الملكة الأم الوضع القائم، ووافقت على إليانور التي كان عليها ألا تتحرك خطوة دون موافقتها[1].

تمثلت رغبة الملكة الأم في أن تكون إليانور شخصية رزينة محتشمة وألا ترتدي ملابس تثير الفتنة، وأن تقتصد في نفقاتها حتى لا تضر بالخزانة الملكية، وأن تقضي أطول ساعات النهار في الصلاة، وأن تغير من لهجتها البروفنسالية لأهل اللانجدوك Languedoc باستخدام لهجة الشمال، وألا تضيع وقتها في الغناء والإسراف في التزين.

ومع ذلك لم تلتزم إليانور بمطالب الملكة الأم، وهيمنت بنفسها على إدارة المنزل بطريقتها، ولم تهتم بأن تصل أخبارها إلى مسامع لويس[2]. وكان مما أساء إلى أديليد أن إبنها التقي لم يعترض على تصرفات زوجته الطائشة بل وافق على أن تصطحب معها حاشيتها من بواتييه وسمح لهم بالإقامة في القصر وتركهم يتصرفون كما لو كانوا يعيشون في الجنوب، فعج القصر بالمغنين والمنشدين، وبالأصوات والضحكات العالية[3].

قدم لويس تضحيات بالغة من أجل إرضاء زوجته إليانور أهمها موقفه من رجال الدين، الذي كان واحدا منهم ويحترمهم، لكنه اتخذ منهم موقفا يتعارض مع طبيعته إرضاء لإليانور التي اعتادت في بلادها الاستهزاء بهم وفي بلاط آل كابيه شعرت بأنها غريبة عن هذا المجتمع[4].

وبعد أسابيع من الزواج بدأ الاحتكاك العلني بين إليانور والملكة الأم التي اشتكت كثيرا للأب سوجير من تصرفات إبنها وعدم تنفيذه لآرائها لكنها لم تجد استجابة لهيمنة حاشية الجنوب على القصر الملكي فاضطرت أديليد إلى تركه والإقامة في عقار ورثته عند منطقة كامباني Campiegne حيث تزوجت من النبيل متى حاكم مونت مورنيس Mattew of Montmorency وذلك كرد فعل لما فعله إبنها وزوجته[5].

وجدت إليانور في ترك الأم للقصر الملكي فرصة لكي تقوم بإعداده وترتيبه وفق رغبتها، فأمرت بتجديد غرفتها، وقامت بتوسيع الأخريات وزودتهم بالمرافق والمدافئ لذا أمرت بإضافة بعض التعديلات الجديدة وذلك بوضع مفارش ومناديل للمائدة التي تعد أساس الراحة في حجرة الطعام، كما أمرت بغسل الأيدي قبل تناول الطعام.

أصرت إليانور على طرد قائد جوقة الترتيل في مصلى القصر واستبدلته بآخر يمكن في نظرها أن يقود الجوقة بشكل لائق.

رأت إليانور أن مجموعة الإكليروس الذين عينهم ملوك آل كابيه يزيدون عن الحاجة لذلك استغنت عن بعضهم، وهكذا نراها تصرفت في القصر كما تفعل معظم العرائس الشابات في منازلهن الجديدة وحاولت جعل القصر ملكا لها[6].

---

(1) Meade, Eleanor, P. 44 Alison, Eleanor, P. 28.
(2) Geoffrey of Vigeois, chronicle, Vol. 12, PP. 434-435, Kelly, Eleanor, P.14, Ffiona, Eleanor P. 33.
(3) Lavisse Ernest : Histoire De France, Tom. 2 Paris, 1901, P. 3 , Meade, Eleanor, P.44. Alison, Eleanor, P. 41.
(4) Geoffrey of Vigeois, Chronicle, Vol. 12, PP. 434-435, Meade , Eleanor, P. 44 , Lavisse, Histoire De France , P. 3 Alison, Eleanor, 33, Kelly, Eleanor, P. 14
(5) Meade, Eleanor, PP. 44-45. Alison, Eleanor, P. 28. Kelly, Eleanor, P.14 Ffiona Eleanor, P. 33.
(6) Meade, Eleanor, P. 45. Alison, Eleanor, P. 28 . Andrea, Hopkins, Most wise, P.39.

لم تكن الحياة التي تعيشها إليانور في فرنسا هي النمط الذي أرادته، فكانت حياة رتيبة مملة لم تتوقعها، فهي في القصر لا تختلف عن قطعة ديكور جميلة يمتلكها الزوج.

لذلك أرادت كسر الملل بممارسة بعض الأنشطة مثل التنزه مع صديقاتها في حدائق القصر، ورواية القصص وحل الألغاز، وهي أنشطة نراها تفرح الأطفال، لذلك اعتبرتها أنشطة مفيدة إلا أنه كان من الصعب عليها تغيير عاداتها وتقاليدها التي قدمت بها من الجنوب لتتوافق مع أهل الشمال، حتى أنها بدأت تحلم باليوم الذي تعود فيه إلى وطنها، أما عن زوجها فقد حاولت تغييره ودفعه إلى حياة الفروسية لكنها أدركت أن ذلك [1]لن يتم في سهولة ويسر[2].

استأنف لويس خلال الشهور الأولى من زواجه وتوليه العرش دراساته الدينية في كنيسة نوتردام Notre dame وعلى خلاف معظم الملوك كانت ملابسه متواضعة وسلوكه طيب، وهذا لم يوجد بين ملوك فرنسا[3].

وقد رسم المؤرخ أودو الدويلي Odo of Deuil سكرتير لويس صورة مؤثرة للويس وقال عنه "كانت حياته كلها نموذجية وصورة من الفضيلة وعندما كان صغيرا بدأ يحكم، ولم يمثل المجد الدنيوي أي متعة حسية له"[4]. فكل ما كان يسعد لويس هو إعداد جوقات التراتيل الدينية وحضور القداسات فقد أراد أن يعيش حياة الرهبنة وكان يظل ساهرا ليلا يصلي ويقرأ في الإنجيل كما كان يصوم أيام الجمعة ويفطر على الخبز والماء. لقد كان إسراف لويس في التدين والشئون الكنسية سببا في خلافاته ومشاكله المستقبلية مع إليانور[5].

اعتاد لويس الصلاة في كنيسة نوتردام، وفي غرفة نومه التي قضى الليالي بها يسجد على الأرض الباردة والضوء الخافت[6]، كل ذلك تراقبه إليانور بعينيها وتراه يهملها كزوجة ولا يقوم بواجبه معها معتبرا لآراء الكنيسة التي ترى أن ممارسة العلاقات الزوجية يجب أن تكون محدودة جدا، وذلك لإنجاب الأطفال فقط، وقد أثمرت هذه العلاقة المحدودة إنجاب إليانور لمولود ما لبث أن توفي بعد الولادة مباشرة[7].

تصرفت إليانور في القصر الملكي بحرية مطلقة حيث ارتدت الملابس التي تعجبها وأنفقت بإسراف على المآدب وحفلات الترفيه والتسلية دون معارضة من زوجها، لكن افتقار لويس لروح المرح وعدم مشاركته في جو اللهو الصاخب جعل الضيوف يستاءون من هذا الشاب الصامت الذي أشارت تعبيرات وجهه عن رغبته في الهروب من هذا الصخب واللهو.

على أية حال فإن حفلات الملكة التي أعدتها لطبقة النبلاء من أهل باريس لم تستمر، ليس بسبب لويس وإنما بسبب تخلفهم شخصيا، لأنه كان من الواضح أنهم لم يفهموا أو يعيشوا الحياة كما عاشها أهالي أكوتين، فكان رجال باريس أجلافا وبخلاء أما النساء فكن ملتزمات، ويرتدين ملابس

(1) Kelly, Eleanor, P. 13, Meade, Eleanor, P. 45, Alison, Eleanor, P. 30, Dismond, Eleanor, P. 21. Ffiona, Eleanor, P. 33.
(2) Meade, Eleanor, P. 45 Kelly, Eleanor, P. 13, Alison , Eleanor, P. 30.
(3) Kelly, Eleanor, P. 13, Meade, Eleanor, P. 46.
(4) اودو اوف دويل: رحلة لويس إلى الشرق، ضمن كتاب "الحروب الصليبية" ترجمة د. سهيل زكار، ج1، (دمشق، 1984م)، ص3.
(5) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2, P.90
Alison, Eleanor, P. 31, Meade , Eleanor, P. 46
(6) Meade, Eleanor, P. 46
(7) Holmes, Daily Living in the Twelfth Century, PP.66-107.

رديئة الذوق مما جعل إليانور تشعر بالسأم والملل رغم تواجدها في المناخ الثقافي المزدهر بغزارة في باريس[1].

عاشت إليانور في المنطقة التي تعرف بجزيرة فرنسا Ille de France والتي كانت كنيسة نوتردام تقع شرقها وغربها قصر المدينة مقر حكم ملوك آل كابيه.

كان يقع على شاطئ نهر السين[2] Seine الشرقي منطقة ريفية والسوق التجاري لباريس، أما الضفة اليسرى فتوجد بها مجموعة الأديرة الشهيرة. كما وجد في غرب الجزيرة حديقة ملكية شهيرة مملوءة بالتعريشات الخشبية والنباتات والورود المختلفة فكان يمكن لإليانور أن تمضي وقتها بها تستمتع بجداول المياه وطواحينها الموجودة أسفل قناطر الجسر. وعلى الشاطئ الأيسر للجزيرة تركزت المدارس الثقافية المشهورة والتي أصبحت فيما بعد نواة لجامعة باريس. كذلك ازدحمت الجزيرة بالطلاب الذين قدموا من جميع أنحاء أوروبا للاشتراك في المناقشات والاستماع إلى محاضرات الأساتذة حتى أن إليانور عندما كانت تخرج من حديقة قصرها كانت تجد نفسها وسط ضجة عالية فالشوارع الملتوية والتي امتلأت بالأدخنة والظلمة لتعدد طوابق المنازل التي مالت وانحدرت نحو الأمام بدون ثبات[3].

كما أن أصوات الأجراس المرتفعة والنغمات الجميلة للتراتيل المنبعثة من الكنائس جاءت وسط فوضى متواصلة لضوضاء الشوارع المنبعثة من معدي الفراء، وصناع الشموع، وتجار الفواكه والخضروات، وفي كل مكان في المنحنيات والمنعطفات وفي الشوارع كان يباع مستلزمات الطعام مثل رقائق بسكويت الويفر والكعك وبسكويت الوفل، وفطائر اللحم والدجاج والجبن والسمك.

لقد عجت مدينة باريس بالطلاب من جميع أرجاء أوروبا أمثال توماس بيكيت Thomas Becket[4] وأبناء النبلاء ورجال الدين الذين قدموا لدراسة الفلسفة وعلم اللاهوت والطب والقانون حتى ازدحم الطلاب على أرصفة الميناء وعلى شاطئ نهر السين حول الأساتذة الذين تحدثوا عن أفلاطون وأرسطو بالإضافة إلى كتابات الكنيسة، ومن بين العلماء كان هناك واحدا استطاع أن يحقق شهرة أكثر من الآخرين وهو بطرس ابيلارد[5] Peter Abelard[6].

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 46-47. Kelly, Eleanor, PP. 10-14.

(2) نهر السين: من أهم أنهار فرنسا، وهو يعد النهر الرئيسي في حوض باريس وينبع من الأجزاء الشمالية لهضبة فرنسا الوسطى ويصب في القنال الإنجليزي ويبلغ طول مجراه حوالي سبعمائة وواحد وسبعين كيلو متر (482 ميلا) وتتصل به بعض الروافد الصغيرة خاصة من جانبه الأيسر، منها نهر يوني Yonne ورافده برجنديا Burguady ونهر لوينج Loing، ونجد أن مياهه تفيض في النصف الشتوي من السنة، = = نتيجة لتساقط الأمطار طول العام، وبخاصة في فصل الشتاء، لأن أمطار الصيف يتبخر منها الكثير، ويتميز بأنه معتدل الجريان، ويعد المخرج النهري الرئيسي لشبكة من الأنهار، تتصل به وتنحدر من الجانب الشرقي لحوض باريس مثل أنهار مارن Marne وأوبي Aub وأوسي Oise.
لمزيد من التفاصيل انظر: محمد خميس الزوكة: المرجع السابق، ص117، جودة حسنين ربيع: المرجع السابق، ص41-42.

(3) Meade, Eleanor, PP. 46-47, Kelly, Eleanor, PP. 10-14.

(4) عن توماس بيكيت انظر الفصل الرابع من البحث.

(5) Meade, Eleanor, P.P. 46-47, Kelly, Eleanor, P.P. 10-14.

(6) ولد بطرس ابيلارد عام 1079م وتوفي عام 1142م وهو من أشهر رجال زمانه في علم الجدل، كما أنه صاحب فلسفة الشك والتشكيك في كل شئ حتى في طبيعة المسيح. =
= عاش أبيلارد في باريس، وكان أستاذا في جامعتها ويعتبر زعيم نهضة تحرير الفكر في القرن الثاني عشر، فقد دعا إلى استخدام العقل وتطبيقه على كل شئ قائلا إن الإنسان يجب ألا يؤمن بشئ قبل فهمه ومن أهم آرائه

عندما تزوجت إليانور وقدمت إلى باريس كان ابيلارد في منتصف الخمسينات وكان يواصل دوره العلمي والثقافي حيث كان يؤمن باستخدام العقل والفكر في مسائل الإيمان والتي عارضها القديس برنارد اوف كليرفو، وقاوم تفكير أبيلارد وتم إصدار قرار حرمان كنسي ضده.

أما بالنسبة لإليانور فقد كانت من مؤيدي فكر أبيلارد العقلي رغم معارضة لويس له[1].

شاركت إليانور في هذه النهضة العلمية، بأن فتحت قصرها للأساتذة، ليقوموا بإلقاء المحاضرات فيه مما يسهل لها الاستماع إليهم.

شعر لويس بحزن زوجته وضجرها من الحياة في باريس، لذلك تركها تنفق بإسراف وبذخ على ملابسها وجواهرها، فقد سئمت قذارة باريس، وضوضائها، واشتاقت إلى جمال بلادها وهدوئها[2].

أن الوساطة بين الخالق والمخلوق لا داعي لها وأن شعور الفرد بالندم على إثم اقترفه كفيل بأن يقربه من الله دون الحاجة إلى الاعتراف على رجل دين. لمزيد من التفاصيل انظر:
جوزيف نسيم يوسف: عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، الاسكندرية، 1983م، ص220، سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج2، القاهرة، 1980م، ص164، 369، Ffiona, Eleonor, PP 93-94.

(1) Kelly, Eleanor, PP 16-18, Meade , Eleanor, P. 48 , Alison, Eleanor, P. 34
سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج2، ص164.

(2) Meade, Eleanor, P. 49 , Alison, Eleanor, P. 31,

دور إليانور في إدارة شئون فرنسا ومدى تأثيرها على الملك لويس :

بعد وفاة الملك لويس السادس عام 1137م ظل الأب سوجير يعمل مستشارا خاصا ووزيرا للملك لويس السابع الذي سار على نهج والده في تقريب هذا المستشار خاصة وأن لويس لم يتمتع بما عرف عن والده من المهارة في الشئون الإدارية والسياسية وكان بحاجة ماسة إلى خبرة هذا الوزير.

كان الأب سوجير يحب لويس السابع ويعتبره إبنا له وقد استمر يمارس دوره على عهده بإخلاص شديد فكان له الفضل في حفظ الإدارة الملكية من الانهيار في ذلك العهد[1].

كانت إليانور من البداية تستاء من الأب سوجير وأودو الدويلي وعدد آخر من القساوسة الذين سيطروا على الملك والإدارة وأصرت إليانور أن يتخذ لويس قراراته بعيدا عنهم وأن يعتمد على نفسه، وأن يستعين بها عند الحاجة لأنها على دراية بأمور الحكم[2].

ذكر الأب سوجير أنه تم طرد عدد كبير من مستشاري الملك بعد الزواج بينما الذين بقوا في السلطة لم يكن أمامهم سوى تكييف أنفسهم وفقا للتغيرات التي أحدثتها إليانور[3].

نجحت إليانور في تحقيق هدفها في إبعاد الأب سوجير عن القصر الملكي حيث ترك لويس إدارة مملكته في أغلب الأحيان في أيدي رجال ضعاف. كما حاول دائما إثارة إعجاب زوجته والفوز برضاها ولذلك كان يحاول دائما إظهار الشدة والقسوة تجاه الثائرين والمتمردين على سلطته الملكية حتى يظل في نظر زوجته حاكما قويا حتى أنه كان يراقب ردود فعلها على تصرفاته لأنه أحبها حباً شديداً لسحرها وجمالها وغفر لها طيشها وتهورها والذي زاد عليه تلهفها للهيمنة على كل شئ بحجة أن ذلك حقها، لقد كانت شخصية مغرورة بسبب خبرتها وتجاربها السابقة ومعرفتها كل شئ عن أراضيها وعن أتباعها، فكانت معلوماتها عن أكوتين أفضل بكثير من الملك لويس لوجودها بينهم من قبل فقد أوضحت له أن أهل أكوتين أنواعا ومنهم العنيد الذي لا يبدي الاحترام إلا للحاكم القوي فقط[4].

كانت الحالة السياسية في أكوتين غير مستقرة عند وفاة وليام العاشر William X واستمرت بعد وفاته وزواج إليانور بل تطورت إلى الأسوأ.

ونتيجة للمشاكل والاضطرابات التي كانت منتشرة في مقاطعات لويس الخاصة اضطر بعد أيام من توليه الحكم إلى القيام بقمع حركة تمرد حدثت في مدينة أورليان Orleans ترجع أصولها إلى ستين عاما مضت، وهي حركة القومونات التي أرادت أن تتحرر من الإقطاع، وأن يكون للقومون كيان سياسي واقتصادي مستقل[5].

(1) نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص814، 815، محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص420-421، محمد عبد النعيم: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص180-181.
Alison, Eleanor, P. 32

(2) Meade, Eleanor, P. 49 Alison, Eleanor, P. 32.

(3) Suger, Vie de Louis VI Le Gros, P. 280

(4) Meade, Eleanor, PP. 49-50 , Alison, Eleanor, P.32.

(5) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2, PP. 61-68. Meade, Eleanor, PP. 50-51.

يمكن القول أن الفترة الواقعة بين سنة 1075 – وهي السنة التي نجحت فيها ثورة كولونيا[1] Cologne ضد أسقفها وسنة 1183م وهي السنة التي حصلت فيها مدن الحلف اللومباردي على حقوقها في الحكم الذاتي من الإمبراطور فردريك بربروسا[2] - تصور البطولة في تاريخ نشأة المدن في أوروبا العصور الوسطى[3].

لم تلبث أن أصبحت المدن الإيطالية بوجه خاص مثلا احتذت به بقية المدن الأوروبية في بروفانس وحوض نهر الراين[4] Rhine وفلاندرز Flanders للحصول على سيادتها[5]، حيث أخذت المدن تنتزع من سادتها الإقطاعيين اعترافات بحقوقها فازداد عدد البراءات والعهود الإعفائية التي حصلت عليها تدريجيا[6].

أظهر الملك لويس السادس مرونة عظيمة في تعامله مع بعض المدن الناشئة في شمال فرنسا مسايرة منه لنشاط الحركة القومونية[7] فمنح كثيرا من هذه المدن الناشئة براءات ساعدت على تحريرها وتجنب بذلك معاداة هذه المدن وحكوماتها الناشئة حيث إنه رأى فيها أداة لكبح قوة كلا من البارونات والكنيسة[8].

ومن هذه البراءات ما منحه الملك لويس لمدينة لور Lorres في وادي نهر اللوار[9] الأعلى Loire فقد نص المرسوم الملكي على أن لكل من يسكن المدينة منزلا وقطعة أرض بإيجار محدد

---

(1) مدينة كولونيا: مدينة تجارية تقع شمال نهر الراين في غرب ألمانيا وهي إحدى أهم مدن العصبة الهانسية التجارية. انظر:

Webester, New Geogrephical Dictionary, P. 277.

(2) بعد وفاة الإمبراطور الألماني كونراد الثالث (1152-1138م) خلفه ابن أخيه فردريك الأول بربروسا (1152-1190م) وكان شابا في الثلاثين من عمره امتاز بالشجاعة والفصاحة والكبرياء وسرعة الغضب والإيمان المطلق بعظمة الوظيفة الإمبراطورية وسموها، وقد أخذ فردريك يعمل منذ اعتلائه العرش على استرداد مكانة الإمبراطورية ومجدها المفقود وهو المجد الذي لا يتحقق في نظره إلا بالربط بين شطري الإمبراطورية في ألمانيا وإيطاليا. انظر: سعيد عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، ج1، ص360.

(3) Thompson (J.W.)
The Middle Ages (2 Vols.) London, 1931, Vol. 2, P. 737.

(4) نهر الراين: يبلغ طوله 1.3190 كيلو متر يمر في وسط وغرب أوروبا. ينبع من جبال الألب متجها شمال وشمال غرب إلى بحر الشمال. انظر:

Moore, W.G., op. cit., P. 652.

(5) Cambridge. Medieval. History, 8 Vols. London, 1928, Vol. 4, PP. 218-219.

(6) سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج2، ص306.

(7) الحركة القومونية: يعني لفظ قومون Commune المدينة التي تتمتع بالاستقلال السياسي والحكم الذاتي وفقا لقوانين وتنظيمات تخدم مصالح الطبقة التجارية ويختار أهلها حكامهم وموظفيهم بأنفسهم دون أن يكون هناك مندوب من قبل سيد أو حاكم خارجي يتحكم فيهم. انظر:
سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج2، ص313، عادل زيتون: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق، ج1، 1980م، ص30.

(8) مرسي الشيخ: أوروبا العصور الوسطى، ص419.

(9) نهر اللوار: يعتبر من أهم أنهار غرب أوروبا بصفة عامة، وأهم أنهار فرنسا خاصة، حيث يبلغ طول مجراه ألف وأربعة عشر كيلو مترا وهو ينبع من جبل جربير دي يونك Gerbier de Jone في نطاقات هضبية تكثر فيها الانحدارات الحادة، فإن النهر غيرمنتظم الجريان ويلتقي قرب مصبه في خليج بسكاي برافدة الهادي المين Maine، على جانبه الأيمن – والذي تكون من التقاء نهري سارث وماتين Sarth Matenne، وتبلغ مساحة حوضه أربعة وأربعين ألفا وأربعمائة ميل مربع. لمزيد من التفاصيل انظر:
محمد خميس الزوكة: المرجع السابق، ص116، 117، جودة حسين ربيع: قارة أوروبا دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية، 2000م، ص42.

وأن من يعيش بالمدينة سنة كاملة ويوما واحدا يصبح حرا كما أعفى سكانها من بعض الحقوق الإقطاعية مثل الخدمة العسكرية أو العمل سخرة وأصبح من غير الجائز أن يحاكم سكانها خارج مدينتهم ولكنهم يخضعون لإجراءات معينة في التقاضي ويدفعون غرامات أو يمضون عقوبات على الوجه المبين في قانون المدينة بالتحديد[1].

على أية حال عندما ظهرت حركة القومونات في البلاد التابعة للملك كما حدث في مدينة أورليان كان الأمر مختلفا.

وعندما اعترض البورجوازيون أو أفراد الطبقة النبيلة في هذه المدينة على الضرائب الباهظة وطالبوا بحصولهم على صك البراءة رفض لويس السادس البدين تلبية طلبهم، لذلك انتهز أهل أورليان فرصة وفاته وتولى إبنه لويس السابع فقاموا بجعل مدينتهم قومونا مستقلا[2].

لذلك قام لويس السابع بمحاصرة المدينة وإعدام المتآمرين الذين أرادوا أن يدعموا التمرد، وقد تصرف لويس بهذه الوحشية حتى يقال إنه ملك قوي شديد، لكنه غير موقفه واستجاب لمطالب الثوار ونفذ الإصلاحات التي طالبوه بها وقد أثر موقف لويس المتباين في هذه القضية على مستقبله السياسي، فكان لتراجعه عن اتخاذ موقف حازم ضد متمردي أورليان أن قامت حركات مماثلة لها في مدن الجنوب مثل مدينة بواتييه موطن إليانور، والتي انتهزت فرصة وفاة وليام العاشر والذي تحول ميراثه إلى زوج إبنته الملك لويس السابع، لذلك قاوموا هذه التبعية للملك الفرنسي فطالبوا بتحويل مدينتهم إلى قومون، لذلك أعد لويس جيشا وتوجه به إلى الجنوب، استطاع به قمع الثورة وكان يمكنه معالجة التمرد بالدبلوماسية، لكنه تعامل مع الثوار بالأسلوب الذي اعتقد أنه سيحوز به رضاء وإعجاب إليانور، فبدلا من قيامه بحل القومون قرر حمل أبناء وبنات أهالي المدينة البارزين كرهائن إلى سجون باريس.

وفي اليوم المحدد حضر البورجوازيون ومعهم أطفالهم وأمتعتهم ووقفوا أمام قصر الدوق مابيرجون[3] Maubergeon.

استنجد أهل بواتييه بالأب سوجير الذي كان حينئذ يعمل رئيسا لدير القديس دنيس فتم استدعاءه على وجه السرعة للتفاهم مع الملك لويس.

أثمرت وساطة الأب سوجير لدى لويس حيث تغير موقفه وسمح بعودة أبناء البورجوازيين إلى ديارهم وأعطاهم حريتهم[4].

تابعت إليانور هذا الحادث في باريس بغضب شديد لأن لويس لم يستخدم الوحشية مع الثوار، فكانت تواقة إلى تصرف يثبت فيه لويس نفسه وقوته أمامها.

إن فشل لويس في معالجة ثورة بسيطة واحتياجه إلى الأب سوجير الذي تدخل لإنقاذ الموقف جعل إليانور تشعر بالاستياء من زوجها نتيجة ضعفه ومن الأب سوجير بسبب تدخله في مسألة لم تكن تخصه وقررت أن تتخلص من تأثيره على زوجها في المستقبل.

---

(1) أحمد علي إسماعيل: دراسات في جغرافية المدن، دار الثقافة، القاهرة، 2005م، ص79-80.

(2) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2, PP 61-Meade, Eleanor, P. 51, Kelly, Eleanor, P.15 Alison, Eleanor, P. 35, Dismond, Eleanor, P. 1731 .

(3) Richard Alfred, Histoire, Vol.,2, PP, 61 – 68.
Meade, Eleanor, 51 Kelly, Eleanor, P. 15.
Alison, Eleanor, P. 35, Owen, Eleanor, P. 31
Dismond, Eleanor, PP. 17-18.

(4) Meade, Eleanor, P. 52, Kelly, Eleanor, P. 15.

وبالرغم من أن إليانور لم ترافق زوجها في حملته على بواتييه لكنها قامت بعدة رحلات إلى الجنوب في السنوات الأولى من زواجها.

كانت الرحلة الأولى في سبتمبر من عام 1138م، عندما حضرت مهرجان نوتردام في بوي Notre Dame at puy حيث كانت بصحبة زوجها، وأختها التي ظلت صديقتها المقربة ومستشارتها الخاصة، وبلا شك أنها وجدت علاقتها بأختها شيئا مريحا خفف عنها حياتها الكئيبة في باريس[1].

برغم أنه كان هناك مناسبات خاصة مثل عيد زواجهم الأول حيث اصطحبها لويس معه في هذه المناسبة في رحلة إلى بورج[2] Baurges حيث توجت إليانور ملكة هناك، لكن هذا اللهو المؤقت لم يحل محل السعادة التي توقعت إليانور أن تعيشها باعتبارها زوجة ملك فرنسا[3].

لقد أدركت إليانور أن سعادتها قد تركتها وراءها في الجنوب، وأن بقية حياتها سوف تقضيها بشكل دائم في تلك الجزيرة الكئيبة حيث حكم عليها أن تعيش مع زوج متدين يخاف النظر إليها.

زاد من إحباط إليانور وحزنها فشل محاولتها في المشاركة في إدارة شئون المملكة، فخلال السنوات العشر الأولى من عهدها، أثبتت الوثائق عدم مشاركتها السياسية، فهي على خلاف الملكات الفرنسيات بما فيهن الملكة أديليدا التي اشتركت في السلطة التنفيذية والسياسية وفي اتخاذ القرارات مع زوجها الملك لويس السادس وعلى عكس ذلك نادرا ما ظهر إسم إليانور في سجلات ووثائق فترة حكم زوجها[4].

وربما يرجع فشل محاولات إليانور في المشاركة السياسية إلى هيمنة الأب سوجير الذي اعتبر أن كلا من لويس وإليانور صغيران وغير مؤهلان للانفراد بالحكم، وبينما أبعدها الأب سوجير إلى مرتبة أدنى، لكنه لم يستطع أن يمنع تأثيرها على زوجها.

إن الكثير من أعمال لويس العنيفة كانت نتيجة لتأثير إليانور عليه لأنه لم يرد إغضابها، ورغم أن تصرفات لويس بدت متهورة لكنه لم يصطدم بالأب سوجير.

فعلى سبيل المثال عندما عاقب الملك لويس وليام ليزي William Lezy بقطع يده عندما سرق بضعة طيور من منزل والد إليانور الخاص بالصيد في تالمونت، رغم قسوة هذا العقاب إلا أن الأب سوجير لم يشعر بالتعاطف مع هذا البارون[5].

ويبدو أن الملل الذي كانت تعيشه إليانور جعلها تفكر في استرداد مقاطعة تولوز والتي رأت أنها ميراث جدتها فليبا ويجب أن تسترده.

ظلت هذه المقاطعة في أيدي الفونس جوردون Alphonse Jourdion لمدة بضع وعشرين عاما، حتى أن الدوق وليام العاشر ولد إليانور لم يفكر في استرداد ميراث والدته لكن بالنسبة لإليانور كان الموقف مختلفا فقد رأت أن قضية استرداد تولوز أمرا ضروريا، وبسبب

---

(1) Meade, Eleanor, P. 52, Alison, Eleanor, P. 35.

(2) مدينة بورج Bourges عاصمة مقاطعة فرنسية على نهر اللوار في العصور القديمة كانت عاصمة أكوتين الرومانية وفي العصور الوسطى كانت عاصمة مقاطعة بري. انظر:
Moore, W.G., Encyclopedia, P. 117.

(3) Meade, Eleanor, P. 52 Alison, Eleanor, P. 35

(4) Meade, Eleanor, PP. 52-53.

(5) Meade, Eleanor, P. 53 Dismond, Eleanor, P. 31, Alison, Eleanor, P. 37

حماسها وتصميمها أدرك لويس أن امتلاك تولوز سوف يزيد من مساحة مملكته إضافة إلى رفع مكانته في نظر زوجته.

ففي الشهور الأولى من عام 1141م قضى لويس وإليانور ساعات طويلة يخططان لمغامرتهما، فلم يكن لديهما أية خبرة كما أنهما ترفعا عن طلب النصيحة والمشورة[1].

رأى البعض من أتباع الملك لويس من بينهم الكونت ثيوبولد كونت شامبني Theobald of Champagne أن حملة لويس على تولوز مشروع أحمق.

رفض ثيوبولد دعم سيده الأعلى والوفاء بالتزاماته الإقطاعية تجاهه بإرسال القوات العسكرية التي يحتاجها لويس في حملته. غادر لويس وإليانور باريس في الرابع والعشرين من يونيو عام 1141م، وكان لويس غاضبا من ثيوبولد حيث اضطر للخروج بدونه فلم يكن لدى لويس الخبرة العسكرية أو أي دراية بالمعارك، أما إليانور فقد رافقت لويس إلى بواتييه حيث بقيت بها بينما تقدم لويس بجيشه عن طريق أكوتين متجها إلى تولوز.

لم يكن جيش لويس منظما بدقة، وإنما كان قد تم جمعه بشكل عشوائي كما كان القادة ضعافا وأجهزة الحصار متواضعة كما اعتمد إليانور ولويس في خطتهما على مفاجأة المدينة حتى يسهل لهما السيطرة عليها[2].

وعلى ما يبدو أنهما اعتمدا على أحلامهما أكثر من أي استراتيجية عسكرية، فلم يكن لدى الفونس جوردون أي نية لتسليم المقاطعة إلى الدوقة الشابة وزوجها، حيث كان حذرا من اقتراب الفرنجة حيث أعد دفاعا قويا على حدود المدينة وجلس ينتظر وصولهما مثل القط الذي أوشك أن يلتهم الفأر.

رفض لويس التضحية بجيشه من أجل تنفيذه رغبة زوجته، حيث تراجع بسرعة وهرب شمالا إلى أنجوليوم Angoulem وبعدها انضم إلى زوجته في بواتييه[3].

غضبت إليانور بشدة من موقف زوجها المتخاذل فالصفات التي اعتبرتها سامية في الرجل هي الشجاعة والاستعداد للمغامرة العسكرية والفروسية وكل شئ آخر كان مجرد صفات تافهة.

ورغم غضب إليانور إلا أنها حاولت إخفاء مشاعرها، ونسيان مرارة الهزيمة والتغلب على فشلها في استرداد تولوز[4]، لذلك قررت البقاء في بواتييه بقية صيف عام 1141م حيث قضت تلك الشهور في صحبة زوجها وأختها بتروتيلا وآخرين من حاشيتهم، وعملت على استرجاع ذكريات طفولتها فزارت دير Nieuil – sur – L'Autise وهو الدير الذي دفنت فيه والدتها، كما زارت دير Milezais والذي كانت عمتها آجنيس رئيسة له.

بعد ذلك اتجهت إليانور وحاشيتها إلى بلدة تالمونت من أجل التمتع بالصيد قبل العودة إلى باريس[5].

نزاع الملك لويس السابع مع الكنيسة :

(1) Ordericus Vitalis, The Ecclesiastical History of England and Normandy, Vols. 4, P.221.
(2) Meade, Eleanor, PP. 53-54, Alison, Eleanor, P. 37 Lavisse, Histoire de France, Tom 2, P. 4.
(3) Alison, Eleanor, P. 37.
(4) Meade, Eleanor, P. 54.
(5) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2 , P. 77.

عاد لويس وإليانور إلى باريس في خريف عام 1141م بعد قضاء فصل الصيف في الجنوب، وبسبب الذل والإهانة التي لحقت بلويس لعدم استيلائه على مقاطعة تولوز، حاول تحسين صورته ورفع مكانته في عيني إليانور وبدا مصمما على إزالة الأثر السئ الذي تركه عليها[1].

وفي عام 1141م كان منصب رئيس أساقفة بورج شاغرا لذلك صمم لويس ولأسباب حيرت باروناته على تعيين أحد مستشاريه المدعو كارديوك Carduc وذلك إرضاء لزوجته إليانور[2]، والتي كانت على خلاف مع الكنيسة لرفضها زواج أختها بتروتيلا من فرماندو[3]، والذى سنتحدث عنه لاحقاً.

رفضت الكنيسة تعيين مرشح الملك لويس، واختارت بدلا منه بطرس دي لا شارتر Peter de la Charter بناء على ترشيح البابا انوست الثاني Innocent II (1130-1143م) حيث بعث به إلى بورج ليتولى منصبه.

عندما علم البابا بموقف لويس وقيامه بالتدخل في شئون الكنيسة، تأكد أن هناك شخصية توجهه لأنه أساسا رجل دين تربى في أحضان الكنيسة، ووجد أن إليانور هي سليلة بيت وقف في وجه الكنيسة خاصة والدها وليام العاشر الذي رفض تأييد انوسنت الثاني في بواتييه[4].

وقد تأكد فعلا أن إليانور كانت تحرض زوجها على مقاومة تعيين بطرس دي لاشارتر، ومع ذلك عندما علم لويس بأن البابا إنوسنت ينظر إليه كطفل استشاط غضبا واستولى على الآثار المقدسة بالكنيسة، وأقسم بأنه لن يسمح لبطرس بدخول المدينة، وعندما وصلت الأخبار إلى البابا إنوسنت قرر حرمان لويس وطرده من الكنيسة وهذه عقوبة خطيرة جدا تهز عرش الملوك لأنه من المعلوم أن هذا القرار سيمنعه من ممارسة الطقوس الدينية في أي مكان ويتحلل أتباعه من يمين الولاء له، إلى جانب حرمانه من جميع حقوقه الدينية والدنيوية.

ورغم خطورة قرار الحرمان الكنسي، أصر لويس على عناده، وازداد غضبه عندما علم أن الكونت ثيوبولد حاكم شامبني يقوم بحماية بطرس دي لاشارتر رغم أنه تابع إقطاعي له ولزوجته إليانور.

لذلك قرر لويس وإليانور ضرورة الانتقام من الأعداء وعلى رأسهم ثيوبولد حاكم مقاطعة شامبني[5].

حملة لويس السابع على مقاطعة شامبني :

رغم أن بتروتيلا أخت إليانور كانت فتاة جذابة وتمتلك ميراثا كبيرا في برجنديا Burgundy كما أنها شقيقة إليانور زوجة الملك لويس السابع، وكل هذه مزايا جعلتها مطمعا لراغبي الزواج، لكنها رفضت جميع اللوردات المؤهلين الذين تقدموا لخطبتها، ويرجع ذلك إلى أنها وأثناء حفل زفاف أختها تعرفت على الكونت رالف أو راؤول من فيرماندو Ralph of Vermandois وهو قريب الملك، وجمعت بينهما علاقة عاطفية وكان رالف آنذاك يزيد عن الخمسين عاما فهو في مقام والدها ولم تكن

(1) Meade, Eleanor, PP. 54-55, Alison, Eleanor, P. 38.
(2) Meade, Eleanor, P. 55
(3) نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسط، ج1، ص883.
(4) Meade, Eleanor, P. 55, Kelly, Eleanor, P.P. 21-22.
Alison, Eleanor, PP. 38-39, Dismond, Eleanor, P. 32.
(5) Meade, Eleanor, PP. 55, Kelly, Eleanor, PP. 21-22.
Alison, Eleanor, PP. 38-39 . Desmond, Eleanor, P. 32
Andrea, Most Wise, P. 40 . Lavisse, Histoire de France, Tom, 2 PP. 5-6.

هذه المشكلة، بل إن المشكلة تركزت في أنه كان متزوجا وزوجته ليونور Leonora إبنة أخت الكونت ثيوبولد كونت شامبني وخلال العطلة الصيفية التي قضاها لويس وإليانور في بواتييه عام 1141م، كان بصحبتهما بتروتيلا ورالف الذي طور علاقته ببتروتيلا حتى أصبح هناك ضرورة لعقد الزواج بينهما، ورغم أن إليانور رأت في زواجهما ضربة قاضية لثيوبولود الذي كان معاديا لرالف ولم يف بالتزاماته الإقطاعية تجاه لويس[1].

حاول لويس إيجاد حل لهذه المشكلة، فاستعان بثلاثة أساقفة من مؤيديه الأول كان شقيق راءول وهو أسقف نوين Noyon وأسقفي Layn وسنلس Senlis، وهؤلاء نجحوا في إصدار قرار أثبتوا فيه بطلان زواج راؤول من زوجته ليونور، لوجود قرابة رحم بينهما وأقروا بزواجه من بترونيلا في الحال[2].

عندما تم إبلاغ الكونت ثيوبولد بالخبر وبضرورة قدومه ليستلم إبنة أخته احتج على ذلك، وقرر الانتقام من راءول عدوه اللدود، لذلك أرسل إلى البابا إنوسنت الثاني يخبره بطلاق إبنة أخته من رالف وأن زواجه من بترونيلا غير شرعي وأن الأساقفة الذين قرروا ذلك نفذوا أوامر لويس بمعنى أنه ما زال يتدخل في الأمور الكنسية.

لذلك قرر البابا إنوسنت الثاني ضرورة عقد مجمع ديني في مدينة لاجني سير مارني Lagny – sur – Marne في مقاطعة شامبني Champagne وفي هذا المجمع قرر المندوب البابوي صلاحية زواج رالف وليونورا[3]، وعندما رفض رالف العودة إلى زوجته قرر المندوب البابوي طردهما من رحمة الكنيسة ووضعت أراضي رالف وبتروتيلا تحت الحرمان الكنسي كما تم طرد الأساقفة الثلاث الذين قرروا بطلان زواجهما.

اعتبرت إليانور ولويس أن ثيوبولد هو المسئول عن مشاكلهم لأنه تابع إقطاعي ولم يؤد التزاماته الإقطاعية تجاه سيده بل إنه تحدى لويس وتجرأ عليه وأثار غضبه عندما قام بإيواء وتأييد بطرس دي لاشارتر مما أدى إلى انهيار سمعة الملك.

رفض لويس الإذعان لقرار البابا نكاية في ثيوبولد وخوفا على بترونيلا لذلك كان لابد له من أن يستلهم من إليانور الدفعة له لاتخاذ الخطوة الحاسمة التي حولت الحرب الباردة بينه وبين ثيوبولد إلى حرب ساخنة، أعد لويس جيشا بعث به إلى شامبني للتصدي لثيوبولد وإجباره على الاستسلام وقد استمر جنوده يخربون وينهبون القرى، ويحرقوا المحاصيل وينهبوا البيوت والكنائس ويقتلوا الرجال لكن ثيوبولد ظل صامداً ولم يستسلم[4].

توجه لويس بنفسه في يناير عام 1143م على رأس جيش إلى شامبني وقام بحصار مدينة فيتري سورمارن Vitry – sur – Marn وراقب من معسكره قواته وهي تتدفق وتتقدم نحو القلعة التي تحصن بها ثيوبولد.

---

(1) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2 PP, 78-79
Meade Eleanor, P. 56 Kelly, Eleanor,P. 22-23
Alison, Eleanor, P. 39 Ffiona, Eleanor, P. 34.

(2) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2, PP.78-79 . Meade Eleanor, P. 56 , Kelly, Eleanor, PP.22-23.

(3) Meade, Eleanor, PP. 56-57, Alison, Eleanor, P. 39.

(4) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2, P. 79. Lavisse, Histoire de france, Tom. 2, P. 79. Kelly, Eleanor, P. 18, Alison , Eleanor, P. 39. Ffiona, Eleanor, P. 34, Meade, Eleanor, P. 57.

رد ثيوبولد على هذا الهجوم بوابل من السهام التي أطلقها من أبراج القلعة الخشبية، وبعدها أدرك أن مقاومته لن تفيد، حيث قام الرماه من جيش لويس بإطلاق أسهم على أبراج القلعة الخشبية فاحترقت وتحولت القلعة إلى كرة نارية.

أصاب سكان مدينة فيتري الدهشة حيثما وجدوا أنفسهم فجأة وسط المعركة، فخرجوا من ديارهم واحتشدوا على طول الطرق[1].

بعد أن سيطرت قوات لويس على البلدة قام الجنود بإلقاء المصابيح على مداخل البيوت الخشبية وعلى الأسقف حتى اشتعلت النيران في المدينة كلها وساد الذعر بين الأهالي الذين اندفعوا أسفل الشوارع متجهين إلى كاتدرائية المدينة لأنها المأوى الوحيد لهم فلا أحد يمكن أن يمسهم بسوء بها حيث احتشد المرضى والأطفال والشيوخ في كنيسة فيتري وقد تراوح عددهم أكثر من ألف وخمسمائة شخص.

تصاعدت ألسنة اللهب التي طالت الكنيسة حتى اشتعلت كلها، مما أدى إلى صعوبة خروج أو دخول أحد إليها ففي بضع دقائق إنهارت الكنيسة ودفن كل من كان بداخلها تحت الأنقاض[2].

سمع لويس وهو في معسكره صرخات الأهالي داخل الكنيسة وشم رائحة اللحم البشري الذي احترق وتحول إلى رماد كما أن الصرخات المدوية للأهالي وهم يحترقون أصابته بحالة من الذهول والخوف حتى أن جنوده عندما قدموا إليه لتقديم التقارير وجدوه شاحب الوجه وغافل عن وجودهم وعندما وجدوه على هذه الحالة، حملوه إلى خيمته ليستريح.

ظل لويس ملازما في خيمته رافضا تناول الطعام أو حتى الكلام وظلت صورة الكنيسة وهي تحترق وأصوات الأهالي ملازمة له طوال الوقت.

غادرت قوات لويس مقاطعة شامبني تاركة وراءها الحقول المدمرة، والقرى المحترقة، والجثث المتفحمة[3].

لقد تكون جيش لويس من القتلة واللصوص الذين توجهوا للالتحاق بقوات الملك حيث رحب لويس بكل من يساند ويؤيد قضيته.

إن صيحات وصرخات الرعب والألم التي ملأت أراضي الكونت ثيوبولد لم تجد رحمة عند لويس ورجاله الذين لم يتوقفوا عن القتل والسلب والنهب ولم يشعروا بالندم.

---

(1) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2, P. 79.
Alison, Eleanor, P. 39, Meade, Eleanor, P. 57
Kelly, Eleanor, P. 18 , Owen, Eleanor, P. 18 , Ffiona, Eleanor, P. 34, Lavisse, Histoire, Vol. 2 , P. 7

(2) Meade, Eleanor, P. 58, Alison, Eleanor, P. 40.
Anne, Letters of the Queens of England, P. 30. Kelly, Eleanor, 23.
Owen, Eleanor, P. 19, 9 Dismond, Eleanor, P. 32.
نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص813-814، محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص420، سعيد عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج1، ص245، محمد عبد النعيم: تاريخ أوروبا أواخر العصور الوسطى، ص179-180.

(3) Meade, Eleanor, P. 58-9 Kelly Eleanor, PP. 23-24 Owen, Eleanor, PP. 19-20 Alison, Eleanor, P. 40

تتبعت إليانور أخبار تطور الحرب من محل إقامتها بفرح وسعادة حيث سعدت بانتصارات لويس ورغم ذلك فإن سعادتها امتزجت بشعور مضطرب لأنها رأت أن الانتصارات التي حققها لويس لم تكن عظيمة كما توقعت.

ظل لويس في شامبني لمدة شهور وعندما عاد إلى باريس لم تتوقف إليانور عن الإساءة إليه[1].

لقد أثرت الحرب على لويس بشكل سئ حيث أصابه المرض والانكسار وكان يستيقظ أثناء الليل ويبكي بكاء مريرا وهو في حالة من الذهول مما أصاب إليانور بالقلق حتى أنها بذلت جهدها من أجل رفع معنوياته وبث الطمأنينة في نفسه وثبتت لديه فكرة أن حرق الكنيسة قضاء الله وقدره، وأنه ليس سببا في ذلك[2].

رغم تخفيف إليانور عن لويس إلا أنه ظل يتألم بما فعله فكل عمل اقترفه أثار اشمئزازه وظلت هذه الجريمة تنغص عليه حياته وتستثير ضميره خاصة وأنه كان على درجة كبيرة من التقوى والورع ولهذا فكر في القيام بحملة صليبية للتكفير عن ذنبه، فأسهم في الحملة الصليبية الثانية[3] مصطحبا مع زوجته إليانور سنة 1147م[4].

تأملت إليانور حظها الذي جمعها بهذا الزوج الأحمق الضعيف لأنها كانت تحلم دائما وتريد زوجا يشبه جدها يحارب ويقتل ويغني فكانت تتمنى أن تقضي حياتها مع زوج رومانسي وليس مع رجل مرتجف يتزلزل ويتشنج بسبب الرؤى المرعبة.

ورغم ذلك كتمت إليانور مشاعرها في نفسها وحاولت أن تخفف عن لويس وتهدئ من روعه.

أدان القديس برنارد عدوان الملك لويس على الكونت ثيوبولد فأرسل عدة رسائل إليه يلومه فيها على أخطائه ويحذره من أنه يعرض نفسه وروحه للخطر، وأنه يثير غضب الله حيث اتهمه بالقتل وبحرق الكنائس وتشريد الفقراء من مساكنهم فهو مثل قطاع الطرق واللصوص كما استجداه أن يرفع يديه عن الكونت ثيوبولد[5].

بعد انتصار لويس على ثيوبولد أصبح في موقع القوة ومن حقه إملاء شروطه حيث وافق لويس وإليانور على إعادة أملاك الكونت ثيوبولد إليه بشرط أن يتم رفع قرار الحرمان والطرد الكنسي الصادر ضد كل من رالف وبتروتيلا.

لجأ القديس برنارد إلى الحيلة، فأقنع البابا إنوسنت الثاني برفع قرار الحرمان الكنسي عن الزوجين، حتى يستعيد ثيوبولد أملاكه ثم يعاود إصدار القرار مرة أخرى.

لم يتوقع لويس أن يكون إنوسنت أو بيرنارد على هذا القدر من المكر والدهاء، ولهذا انسحب لويس وقواته فورا من شامبني، وفي نفس الوقت لعب البابا إنوسنت دورا فاعلا حيث عرض على رالف أن يطلق بتروتيلا وعندما رفض قام البابا إنوسنت بإعادة إصدار قرار الحرمان

---

(1) Meade, Eleanor, P. 59 , Alison, Eleanor, P. 41.
(2) Meade, Eleanor, P. 59, Alison, Eleanor, P.41
(3) عن الحملة الصليبية الثانية انظر الفصل الثاني من البحث.
(4) محمد عبد النعيم: تاريخ أوروبا أواخر العصور الوسطى، ص180.
(5) Meade Eleanor, P. 59, Alison, Eleanor, P. 41.

الكنسي ضد رالف وبتروتيلا لذلك أسرع لويس بالعودة بجيشه إلى مقاطعة شامبني لينتقم ويدمر مما أثار القديس برنارد ضده[1].

توفي البابا إنوسنت الثاني في 24 سبتمبر عام 1143م وتولى بعده البابا كلستين الثاني Celestine II (1143-1144م) الذي شهد حدوث إضطرابات كبيرة في فرنسا من أجل رفع قرار الحرمان الكنسي، فقد ناقش القديس برنارد صحة زواج لويس من إليانور وذكر أسقف ليون أن هناك صلة قرابة بين الملكين، كما بحث برنارد المسألة مرتين وتساءل مندهشا لماذا يرفض لويس علاقة رالف بزوجته الأولى بينما لويس نفسه قد تزوج إليانور وهي قريبة له قرابة محرمة[2].

في الوقت الذي خيمت على حياة لويس الكآبة والحزن، وعاد مرة أخرى إلى التشدد الديني داخل القصر، وتطبيق مبادئ الرهبنة هناك مثلما كان قبل الزواج ومنع الرقص وغناء الشعراء الجائلين.

حدث توتر كبير في العلاقة بين الزوجين لكنهما أمام اتباعهما كانا يحترم كل منهما الآخر أما وهما بمفردهما فقد تجنب كلا منهما الآخر[3].

لقد أصبحت حياة إليانور في القصر لا تطاق، حيث انغمس لويس في حالة شديدة من الاكتئاب واعتقد أن عقاب الله ينتظره وحاول التقرب من الله فحلق شعره مثل الرهبان وارتدى ملابسهم وقضى ساعات طويلة في الصلاة وأصبح يحافظ على أداء واجباته الدينية بصراحة أكثر من قبل، كما عاد إلى عادته في احترام أوامر الأب سوجير ومستشاريه الدينيين.

أثر هذا التغيير في حياة لويس على إليانور التي نظرت إلى زوجها على أنه زوج أحمق ولن يتغير كما أصيبت بالإحباط والفشل.

في ظل الصمت الرهيب والتوتر الذي زاد بينها وبينه وفتور العلاقة بينهما مما أدى إلى انفصال كل منهما عن الآخر وأصبح كل منهما ينام بمفرده، وقد أثر ذلك في إليانور، التي رأت أن عدم إنجابها أصبح موضوع همس وتعليق بين الفرنسيين، فخافت إن استمرت حالة لويس هكذا فلن تنجب فقد مضى على زواجها سبع سنوات لم تنجب طفلا آخر بعد طفلها الأول الذي ولد ميتا[4]. فمنذ عدة سنوات وإليانور تنتظر اليوم الذي سوف تصبح فيه أما وحتى تتحقق لها هذه الأمنية قدمت عدة تاسوعات[5] فقد أصبحت إليانور عام 1144م في الثامنة والعشرين من عمرها وتذكرت أن والدتها عندما توفيت كانت في عمرها وكان لديها ثلاثة أطفال، كما أدركت إليانور أنها كملكة لفرنسا فإن واجبها الأساسي، أن تنجب وريثا ذكرا يتولى العرش وكان لديها شك أن عدم إنجابها يرجع إلى الذنوب التي اقترفتها هي وزوجها خلال شتاء عام 1144م.

---

(1) Alison, Eleanor, P. 41 Dismond, Eleanor, P. 33

(2) Kelly, Eleanor, P. 24 Meade, Eleanor, P. 60

(3) Meade, Eleanor, P. 60, Alison, Eleanor, P. 2741, Lavisse, Histoire de France, Tem, 2 PP. 7-8, Kelly Eleanor, P. 27

(4) Meade, Eleanor, PP 61-62. Alison, Eleanor, P.42-44.

(5) التاسوعات: هي عبادة تستمر تسعة أيام وتقدم لمريم العذراء تقربا إليها وطلبا لمباركتها. انظر: Meade, Eleanor, P. 62

حاولت إليانور الخروج من جو الاكتئاب والملل الذي طوقها وقد واتتها الفرصة عندما جاءتها دعوة للمشاركة هي وزوجها في إعادة تكريس كنيسة القديس دنيس[1] والتي قام بتجديدها الأب سوجير في يونيو عام 1144م[2].

انتهز مستشاروا لويس هذه الفرصة للترويح عنه لأنهم كانوا قلقين من يأسه وندمه وتمنوا اشتراك لويس في إعادة عمران الكنيسة فذلك سوف يعزز ثقته في نفسه، كما أنه سيتم خلاله عقد مؤتمر سلام بين لويس وثيوبولد.

في يوم السبت الموافق العاشر من يونيو عام 1144م، بدأ لويس وإليانور رحلة طويلة إلى كنيسة القديس دنيس تلك الرحلة التي استغرقت مدة طويلة حتى وصولهم حيث ارتفعت الصيحات وسط الحشود التي تجمعت للمشاركة في هذه المناسبة، كما أسرع الأب سوجير للترحيب بهما ومرافقتهما إلى حجرة الضيوف الموجودة بالدير لكن لويس تركها بمفردها، وظل يصلي مع الرهبان بالكاتدرائية[3].

قام لويس بدور رئيسي في المراسم وفق مخطط الأب سوجير، فهو الذي ترأس موكب الأساقفة والرهبان حول الكاتدرائية، وحمل وعاء الذخائر المقدسة الفضي الذي يحوي عظام القديس دنيس وحمله إلى المذبح حيث دفنه في مكان مطعم بالذهب والفضة[4].

إن روح التوبة والندم التي تجسدت في مظهر لويس الخارجي، وفي دوره في كنيسة سانت دنيس جنبته سخط رجال الدين على ما قام به في مقاطعة شامبني أما إليانور فقد رتبت لمقابلة مع القديس بيرنارد.

أرادت إليانور إقناع القديس برنارد بالتدخل لرفع قرار الحرمان الكنسي، والتأثير على البابا كلستين الثاني لرفع هذا القرار والاعتراف بزواج رالف من أختها بتروتيلا، ولذلك أخبرت إليانور القديس باستعدادها ولويس لتقديم التنازلات في المسألة الشائكة حول إقليم شامبني وربما بعض المسائل القديمة مثل الاعتراف ببطرس دي لاشارتر كرئيس لأساقفة بورج.

اندهش القديس برنارد من طريقة إليانور والأسلوب المباشر الذي قدمت به مطالبها، فلم يكن معتادا على الاتفاق أو المساومة مع امرأة تتحدث بجرأة مثل الرجل.

---

(1) لقد استخدم الأب سوجير في إعادة بناء الكنيسة كل المعادن النفيسة من الذهب والفضة والياقوت والرخام والزجاج ووضعها في أيدي الحرفيين البارعين الذين أحضرهم من جميع المناطق والذين كانوا مدربين على استخدام تلك المعادن.
لقد كانت الكاتدرائية تحفة فنية رائعة فالمذبح طوله لا يقل عن عشرين قدما ومزين بالذهب والماس. أما نوافذ الكاتدرائية فقد زينت بالزجاج الملون وعلى المذبح الرئيسي وجدت صورة المسيح المصلوب بطول عشرين قدما.
شارك كل لوردات فرنسا في تزيين الكاتدرائية حيث ساهم كل لورد بهدية قيمة من المجوهرات ومنحها للكاتدرائية ومن ضمن الهدايا الممنوحة كانت المزهرية البلورية التي أهدتها إليانور إلى لويس بمناسبة زواجهما وقد أهداها لويس إلى الأب سوجير الذي منحها للكاتدرائية. انظر:
Heer, Friedrich, The Medieval world. London, 1961, P. 397

(2) Meade, Eleanor, p. 62.

(3) Meade, Eleanor, P. 62, Alison, Eleanor, P. 43. Kelly, Eleanor, PP. 25-26. Dismond, Eleanor, P. 34 , Owen, Eleanor, P. 20 , Ffiona, Eleanor, P. 34

(4) Heer, Friedrich, Medieval World, P. 397 Kelly, Eleanor, P. 26 , Alison, Eleanor, P. 43 , Meade, Eleanor, pp. 63-64.

توقع برنارد منها الندم والأسف العميق أو حتى الالتماس للمغفرة، لكن وعلى عكس زوجها، لم تنظر إليانور إلى برنارد على أنها نادمة أو تائبة فهي لم تتذكر حتى أحداث فيتري[1].

وبدلا من ذلك استمع برنارد إليها وهي تتجرأ بمساومة الله وتتحدث بشكل وقح على الاتفاق على الزنا من أجل التأثير على البابا[2].

كان برنارد يعرف تاريخ إليانور، فقد أدرك أنها سليلة أجداد متهمون بالزنا وأب عنيد متغطرس معاد للكنيسة، فقد فضل أهلها الحياة الدنيا، قاموا بطرد رجال الدين من مناصبهم لأن ميولهم لا تتفق مع رجال الدين، لذا ليس من الغريب أن يكون نسل تلك العائلة أشخاص ضلوا الطريق مثل إليانور وابتعدوا عن الدين والاستقامة.

ذكر برنارد إليانور بضرورة حثها على السلام وعدم إثارة الملك ضد الكنيسة، كما أخبرها بضرورة تشجيع وتحفيز الملك على أعمال الخير والسلام، وأخبرها أنها إذا نفذت ذلك فسوف يقوم باستعطاف السيد الرحيم – يقصد المسيح – لمنحها الذرية[3]. وهكذا تمت المعاهدة بين كل من القديس برنارد والملكة إليانور.

بعد انتهاء إليانور من حديثها أمرها برنارد بالتوقف عن التدخل في شئون المملكة[4] كما وبخها بقسوة شديدة حتى أنها توقفت واعتذرت عن سلوكها بطريقة مهذبة، حيث ذكرت له أنها تشعر بالمرارة بسبب عدم إنجابها.

لم يكن تحول موقف إليانور المفاجئ نتيجة تأثرها بشخصية برنارد فهي لم تكن من النوع الذي يهاب رجال الدين، لكن من الممكن تفسير تحولها إلى كونها مؤمنة بفلسفة الذرائع، وأنها أعادت تقييم الموقف بسرعة ورأت أن قضية رالف وبترونيلا أصبحت قضية خاسرة وأنها قد فعلت كل ما في وسعها لمساعدتهما أما الآن فقد طرحت الإخلاص والولاء للعائلة جانبا، واختارت شئونها ومصالحها الخاصة.

أسرعت إليانور بعد هذا اللقاء للبحث عن لويس لتخبره بالنتيجة[5] وبعد أسابيع، عاد السلام إلى فرنسا حيث سلم لويس ثيوبولد الأقاليم التي مزقتها الحرب وسمح لبطرس دي لاشارتر بتولي منصب رئيس أساقفة بورج[6].

---

(1) Meade, Eleanor, P. 64, Kelly, Eleonor, PP.26-27. Alison, Eleanor, P. 43, Dismond, Eleanor, P.35. Lavisse, Histoire de France, Tom, 2, P. 9.

(2) كان برنارد ينظر إلى السيدات المتألقات نظرة سيئة فهن في نظره عاهرات والواقع أن نظرة برنارد جاءت متأثرة بحادث وقع له وهو في سن المراهقة، فقد وقع برنادر في حب فتاة لكنه شعر بالخزي لأنه رمى بنفسه في بحر الخطيئة وقد أثرت تلك الحادثة على علاقة برنارد ورؤيته للنساء، وقد امتدت عداوته تجاه النساء إلى أخته هومبيلن Hombeline التي اختارت الزواج بدلا من الانخراط في سلك الرهبنة عندما أرادت هومبيلن أن تزور أخيها ارتدت بشكل جيد وتدلت بواسطة حاشية ضخمة من الخدم وظهرت عند دير كليرفوا.
رفض برنارد مقابلتها أو حتى رؤيتها وأرسل لها رسالة يخبرها بأنها ليست أفضل من عاهرة، وأنها وسيلة للشيطان لإغواء الرجال وتحريضهم على الرذيلة. انظر:
Meade, Eleanor, P. 65 Kelly, Eleanor, P. 27 , Alison, Eleanor, P. 44.

(3) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2, P. 81 .
Meade, Eleanor, P. 66 Alison, Eleanor, P. 44
Kelly, Eleanor p. 28 Dismond, Eleanor, 35

(4) Lavisse, Histoire de France, Tom, 2 PP 9-10. Kelly, Eleanor, P. 27.

(5) Meade, Eleanor, P. 66

(6) Meade, Eleanor, P. 67 Dismond, Eleanor, P. 36.
Owen, Eleanor, P. 20 Alison, Eleanor, P. 45

أما عمليات الطرد والحرمان الكنسي على منزل فيرماندوس فظلت قائمة ولكن بمرور الوقت تم إهمالها، لكن بعد مرور أربع سنوات اعترف البابا بصلاحية زواج رالف وبترونيلا، لكن القديس برنرد تنبأ لهما بأنهما لن يعيشا طويلا كما أن أطفالهما لن يكونوا أصحاء وفعلا تحققت نبؤته ففي عام 1151م توفي رالف، أما إبنه فكان مصابا بداء الجذام حيث توفي في العاشرة من عمره، أما إبنتهما إيزابيلا وإليانور، فقد تزوجا أربع مرات لكنهما لم ينجبا.

نفذت إليانور وعدها الذي قطعته للقديس برنارد وكذلك بنود الاتفاق الذي تم بينهما، لكن ما كانت تتمناه إليانور من إنجاب الذكر لم يتحقق فبرغم أنها أنجبت طفلا عام 1145م لكن هذا الطفل لم يكن ولدا بل بنتا تدعى ماري Marie تكريما للسيدة مريم العذراء والتي ستتزوج فيما بعد وريث ثيوبولد وتصبح كونتيسة لشامبني[1].

وبحلول عام 1145م ساد السلام في فرنسا، وفي قصر المدينة عاد لويس إلى سلوكه القديم من الصيام والصلاة المستمران كما حرص على ألا يواجه أي مشاكل مع مستشاريه وخاصة الأب سوجير الذي عاد لوظيفته كمستشار رئيسي للملك لويس.

أما إليانور التي وعدت بيرنارد بعدم التدخل في شئون المملكة فقد أوفت بذلك الوعد، ومما يؤكد ذلك أنه عندما اندلعت ثورة في إحدى مناطق أكوتين، تنحت إليانور جانبا، ولم تتدخل بينما حل لويس النزاع[2].

شعرت إليانور بالسأم والملل خاصة بعد ابتعادها عن الشئون السياسية ورغم وجود طفلتها ماري إلا أنها تركت تربيتها للخادمات. أما لويس فظلت ذكريات الحرب متوهجة في داخله، ورغم أنه لم يعد يعاني من الكوابيس، إلا أنه لم يتعافى تماما من أحداث فيتري ومع أنه فعل كل ما في إمكانه للمساعدة في إعادة بناء البلدة المحترقة، إلا أنه وجد أن ما فعله ليس كافيا لمحو آثامه وخطاياه فقد رأى أن الشئ الوحيد الذي يستطيع محو خطاياه هو الحج إلى الأراضي المقدسة.

إن القيام برحلة الحج كانت رؤية تسبح أمام عينيه منذ الطفولة فمنذ أن كرس نفسه لخدمة الكنيسة وهو يتخيل نفسه وهو يطأ الطريق إلى القدس ويقضي عيد الفصح في الضريح المقدس، كما عهد إلى إليانور بسر آخر وهو أن أخيه الأكبر فيليب حلم بزيارة قبر السيد المسيح وعندما قتل فيليب أقسم لويس على القيام برحلة الحج بدلا عنه[3].

مما سبق يتضح لنا النتائج التي ترتبت على زواج إليانور من الملك لويس السابع والتي كان من أهمها انتقال ملكية دوقية أكوتين إلى مملكة فرنسا التي زادت مساحتها بشكل كبير بعد أن كانت مقتصرة على جزيرة فرنسا، كما تعرفنا على الدور الذي لعبته إليانور في إدارة شئون فرنسا بعد نجاحها في إبعاد الأب سوجير عن المملكة بسبب كراهيتها له ولكل رجال الدين، والتأثير الذي

Lavisse, Histoire de France, Tom, 2, P. 9

نور الدين حاطوم: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص814.

(1) Meade, Eleanor, P. 67 Alison, Eleanor, P. 45.
Ffiona, Eleanor, P. 34 Andrea, Most Wise, P. 41

(2) Richard, Alfred, Histoire, Vol. 2 , P. 82.
Kelly, Eleanor, P. 29, Meade , Eleanor, P. 67.

(3) Meade, Eleanor, P. 68 Kelly, Eleanor, P. 29
Alson, Eleanor, P. 45

محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص420، محمد عبد النعيم: تاريخ أوروبا أواخر العصور الوسطى، ص180.

مارسته على زوجها الملك لويس السابع الذي كان له دور كبير في القيام بحرق كنيسة فيتري مما أدى إلى شعوره بالندم على ما اقترفه فقرر القيام بحملة صليبية للتفكير عن ذنبه.